البطولة في الأدب الجاهلي

بقلم محمد مهدي المجذوب

نسمع الآن ونشهد ، والعالم يسمع ويشهد ، دوي بلاد العرب ، حيث كانوا بالثورة .. والاستشهاد في سبيل حرية العرب .

ان اصرارنا يتوقد ، في خفقة واحدة تنتظم شاطىء الاطلسي في الغرب ، حتى شاطىء العرب في الشرق ، وخضرة اليمن السعيد في الجنوب ، حتى منابع النيل في سواد افريقيا .

نحن نعرف هذه المعارك التي نصلاها اليوم ، نعرفها كما عرفها اباؤنا الابطال وخاضوها مؤمنين ، وخرجوا منها .. وهم اشد ايمانا وعزما ... ياخذون النصر كما ناخذه اليوم قادرين .

عرب هذا شانهم في الماضي والحاضر ، فان لهم بطولة لا تنحسم فهي متصلة بمستقبل الانسان ومصيره ، ورغبته في الحرية والعدالة الامنة .

وعملنا ، ونحن نتحدث باسم البطولة العربية في هذا المؤتمر – هو ان نلقي ضوءا قويا على جوهر هذه البطولة ، ونقدم للعالم – اصدقائنا واعدائنا على السواء – نصيبنا الكبير في البحث الجاهد عن الكمال ، حتى تشهد الدنيا من جديد ، سر نضالنا العظيم في سبيل الحرية .

عبادة الابطال

ولا اعطف للناس في هذه الارض من سيرة الانسان الجاهد في سبيل الرقي والتحرر ، فان الناس مفطورون على الحرية الخيرة ، ومثل هذا الانسان خليق دائما بالحب ، ولذلك يفتش الناس عن امثاله في القصص ، وقد اعتملت اصابع الاغريق فاخرجت له التماثيل ، وعرب الجاهلية قد عبدوا الاصنام لانها كما قيل – صور لاناس فاضلين من الغابرين ، يلتمسها القوم في الاحجار ، والناس اذا فاتهم التعبير بالصور راحوا يؤلفون الاساطير لاشباع حاجة بشرية .

ولدينا في السودان قصص كثيرة عن الفرسان والصالحين ، الذين جرت على ايديهم الخوارق .

وتخليد الابطال انما أريد به رفعهم الى مستوى الآلهة ، وذلك تسليم مطلق بقدرتهم الخارقة .

وانه لما يسترعي النظر ويفعم النفس اعجابا وفخرا ، ان نرى البطولة العربية صورة واضحة الملامح من المروءة والفتوة والفصاحة ، وانها انسانية ذات اهداف ، تقف دائما في جانب الحق .. ادبية فنانة ، اعدت اللغة العربية، ايمانا بها ،لتحمل امانة الحضارة.. فامتلأت – هذهاللغة الشريفة حماسة للحياة وجاء تعبيرها عنها قويا مثيرا .

ما هي البطولة ؟

ان البطولة تنصرف ، عند الخاطر الاول ، الى الشجاعة وهذا معناها الشامل القديم ولا زال باقيا ، ولكن معناها قد يتطور مع تطور المجتمعات واختلاف نظرتها الى السلوك الانساني .

وجماع القول فان البطولة سمو وتشوف للكمال ، ورياضة للروح والجسم او تعبير مكتمل عن طاقة قوية متفردة ، والشجاعة – كما اسلفنا – على اختلاف معانيها جوهر البطولة الفرد ، وبايجاز فهي صفة انسانية بارزة وقد تكون مادية قاهرة او معنوية دافعة .

البطولة العربية

ان البطولة العربية – على وجه العموم – بطولة حربية ، ولقد كانت القبائل في هذه الجزيرة كالعواصف على الخيل والابل ، تطير بها الغارات اما لها او عليها ، ولذلك فقد كانت شغل الشعراء الشاغل ، ولم تكن هذه الحروب خرساء تجمجم بصيل السيوف وصهيل الخيل ، وانما كانت ملحمة شاعرة تتطاحن فيها السنة الشعراء.

ونحن نزعم ان ايام العرب المشهورة كانت ضرورة لتصفية القيم ، فلقد اكتمل النظام القبلي بكل مآثره ، ووقفت القبائل وجها لوجه ، تعرض ما لديها في زحمة التنافس ، وفي غمرة هذا التنافس الدائم قويت ملكة التعبير ، وصفت اللغة واصبح الشاعر ذا خطر عظيم ، ولقد صدقت الحضارة العربية فيما بعد كل رؤاه .

ان الشعر – اشبه بهذا الانفعال ، والنثر هنا ليس بذي أثر ، ويوافقنا ان ناخذ برأي أحد النقاد المعاصرين – حينما ذكر عيشة العرب الاولى واسماها بالشعر لانه – كما قال – لغة العاطفة والخيال ، والعصر الجاهلي – وان كان له نثر خاص تقوم عليه الخطابة فهو ليس نثرا فنيا ، فالنثر عماده الكتابة والاستقرار ولذلك فنحن لا نلتفت الى هدير الخطباء ولاسجع الكهانة وانما نصغي – كما اصغت هذه الجزيرة في بهر واعجاب الى الشاعر وسنجد ، لدى هذا الرائد العظيم ، ما نبغي من الوان البطولة .

ان الحياة الجاهلية بما فيها من تطاحن ، جعلت الشجاعة راجحة بالفضائل الاخرى ، ويلي الشجاعة الكرم ، والكرم ضرب من الشجاعة وهاتان الفضيلتان شرطان اساسيان في البطل الجاهلي يهتف بهما المديح والفخر ، ولقد ارتفع المديح والفخر الى مستوى عال ، فحين لا ينص المادح او الفاخر على فضيلتي الشجاعة والكرم فنحن نراهما في صفات أشمل واكبر ، فالسيد والماجد والكريم والفتى كلها صفات تتضمن معنى الكرم والشجاعة ، وتعني عند الجاهليين مرتبة فوق مرتبة البطولة، لانهم كانوا لا يطلقون كلمة البطل الا على الشجاع – شجاعة خارقة – في القتال.

ولقد أفادنا صاحب القاموس – رحمه الله – فقال في ذلك : انما سمي البطل بطلا لانه تبطل عنده العظائم ، ولان الاشداء يبطلون عنده ، وكذلك الاقران تبطل عنده فلا يدرك ثأر لديه ، ونحن نزيد على ذلك ان البطل العربي – كما يصوره الادب الجاهلي – تجتمع فيه صفات اخرى تجعل منه ذلك الانسان النادر ، من هذه الصفات الكرم والنجدة ، والعفة في مضارب القبيلة وميدان الحرب ، وهو يتقدم على القوم ، ولم يفسده الترف ولا الفقر ، ساهر على قومه ، لا يشغله عنهم مال يثمره او ولد يبغي له الرفعة.

ولقد كان لهذا البطل طراز خاص قلده فرسان النصرانية في العصور الوسطى .

فالبطولة عند العربي ـ زيادة على انها شجاعة خارقة وقوة، فهي ضبط للنفس وتنزيه ، واخذ بالاخلاق الكريمة .

ولقد آن لنا ـ أيها السيدات والسادة ـ ان نرفع لكم صورا من البطولة تخبرناها من الادب الجاهلي .. وهذه : ـ

بطولة القبيلة

هذا انسان قد عاش بين قومه رجلا منهم ، يرعى وينتج الغيث ، ولا شان لقومه هؤلاء بين القبائل ، وانه ليسمع كثيرا من يغنى بشرف هذه القبيلة او تلك ، انه لم ير تلك القبيلة ، ولم تعد منها عائدة اليه ، انما سمع شعرا ملا نفسه تقديسا لتلك القبيلة واعجابا .

ويغدو على قومه ذات يوم وقد هتف لسانه بشعر يمجد فيه قومه ، ويرفع لهم تمثالا ضخما بارز الملامح يراه الحاضر والغائب ويراه صناع التماثيل في سوق عكاظ .

وتجد هذه القبيلة المغمورة نفسها ، وتمسك بأستار الليل توقظه ، واذا بنيران القرى ترقص امام الخيام تدعو العابرين ، وتجتمع نساؤها يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس ، والرجال والولدان يتباشرون ، وها هي القبائل تقبل مهنئة ، لقد نبغ في هذه القبيلة شاعر ، وهي تعرف الان كيف تحمي نفسها ، وتتخذ لها أسلوبا رفيعا من الحياة تعرضه وتباهي به الاخرين .

ولقد ضربنا مثلا ـ في بحثنا المفصل الذي في ايديكم ـ بالشاعر الحرث بن حلزة اليشكرى ، ولاحظنا ان معلقته الخالدة صدرت عن مشورة طويلة مخالفين في ذلك من زعموا انها مرتجلة ، ونحن لا نرى فيها شاعرنا الحرث الا من خلال قبيلته الفخمة القوية .

البطل الفرد : ـ

ولقد قدمنا لكم ـ ايها السيدات والسادة ـ بطلا اخر هو البطل الفرد بحسبه ونسبه ، الواثق من شجاعته وقوته ، العازف عن مواقف الضيم والهوان .. ذلك هو عمرو بن كلثوم سيد تغلب.

والابيات التالية من معلقته الفخمة ، تخرجه من نطاق القبيلة الى آفاق بعيدة يبسط فيها الشاعر سيادته على الارضين والبحار .. فكأنه كان يحلم ـ وهو في نشوة المجد ـ بمصير هذه البطولة في المستقبل .

ملانا البر حتى ضاق عنا ... وماء البحر نملؤه سفينا
اذا بلغ الفطام لنا رضيع ... تخر له الجبابر ساجدينا
لنا الدنيا ومن امسى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا

زينة البطل : ـ

وللبطل العربي زينتان ، مادية واخرى معنوية ، اما المادية فهي هذا الجسم القوى التام .

بطل كان ثيابه في سرحة ... يحذي نعال السبت ليس بتوأم

يحيط به جمال قوي ذو الوان من الخيل والسلاح، وهو يعرض في هذا المجال الرائع قوة جسمه وحربته ، فاذا امتلأ بسحر ذلك كله وفتنته اتخذ له شارة او علامة هي اعلان متحمس عن مكانه في الحرب .

اما الخيل العتاق فهي من اسرة هذا البطل ، وهو يحبها اشد الحب ويرعاها ويديم اليها النظر من كل ناحية وحركة ، وهي تقاسمه السلم والحرب ، وهي حصن متحرك للدفاع والهجوم ، وقد تكون وسيلة للنجاة ، او تكون قيدا للوحش النافر المنطلق ، وهو يسميها كما يسمي اولاده بما يملأ نفسه حبا اذا دعاها .

وقد اوردنا صورة لهذا الحصان الجميل كصاحبه ، ولمثل هذا الفرس الكريم ، الذي لا ينفصل عن حياة فارسه ، ثارت حرب داحس والغبراء .

ولقد عرضنا من زينة البطل المادية الوانا من السلاح الكريم ، فنظرنا في صور الدروع الفضفاضة ، والسيف العتيق ، والرمح الرشيق ، والقوس المرنه فرأينا هذا البطل يكلف بالجمال والقوة والاغراب في كل ذلك ، ويأنس اليهما ويملأ بهما حياته الرائعة .

واذ قد تناولنا شيئا من زينة البطل المادية فلننظر في زينته المعنوية ، فالحماسة والنجدة والحمية التي تحرك جسمه القوى هي ابرز هذه السمات، وهو صاحب روح رياضي ولا يهون من شأن اعدائه اعظاما لنفسه.

فاذا فرغ من الحرب ذهب يتأمل ويشتاق او يصيد فيعاطى الثور الوحش عنفا بعنف او ينصرف على ناقته يجوب الفيافى ويقف على الاطلال.

ان ابطال العرب قد خلعوا من بطولتهم على الحيوان بطولته ، كالاسد والثور الوحش والنعامه والناقة لخالدة ، فتجاوبوا بذلك تجاوبا نشيطا مع الطبيعة ، وكنا نود ان نقيم فصلا لبطولة الحيوان ولكن الوقت لا يتسع لذلك ، وحسبنا الان اشارة عابرة الى تلك البطولة .

تطور معنى البطولة

ولقد ذكرنا في مطلع هذا الحديث تطور معنى البطولة مع تطور المجتمعات واختلاف نظرتها الى السلوك الانساني ، ومما يسترعي النظر ان نجد معنى البطولة قد تطور فعلا في الادب الجاهلي .. ولقد كانت من هذا اشارات معجبات الى مستقبل هذه البطولة .

ففي ظلال البطولات الحربية لمعت بطولات اخرى لها بريق اروع من بريق السيوف عند النصر ، بطولات تخبرنا ان العرب يتحولون ويتطلعون الى مشارق جديدة ، فهؤلاء مثلا نفر لم يهينوا العقل الانساني بعبادة الاصنام ، وهذه زرقاء اليمامه تقيم تمثالا للكشف وحب الاستطلاع الى غير هؤلاء من الذين اعطوا حياة العرب لونا باهرا من الحيوية والتقدم واظهروا البشارة بأمر خطير .

ونلتقى لكم من البطولة العربية المتطوره ، صورة جديدة في العصر الجاهلي وهي لبطل السلام

بطل السلام

انه شيخ كثير الروية ، وقد نشأ في بيت شاعر وكانت بلاده من ديار غطفان ساحة للحرب المستحره ، ولكن ليس كغيره من الشعراء يتحيز لقومه ، وانما كان صاحب رأي في الحرب تفرد به بين العرب فصورها دميمة نامية الشر حتى ينفر منها الناس ، ثم دعا للسلام وحسنه ، واشاد بالداعين اليه وجعل منه معروفا من القول وهدى.

ويظهر انه كان رجلا يتسامى بثقافته على الفهم العام بين القبائل العربية ولعله كان يمثل فئة ضاقت بأسلوب الحياة العربية ، وتاقت الى حياة افضل .

وشاعرنا هذا يؤمن بالقانون الالهي ، ولعله فتح سمعه الى هؤلاء المتحنفين كزيد بن عمرو بن نفيل ، او الى هؤلاء الكهان الذين يطرقون ابواب الغيب، او الى هذه الافكار الغريبة التي تطوف بها اليهودية والنصرانية على هياكل الاصنام .

وملاه كل ذلك تفكيرا وتسامحا وعدلا يوافق طبعه السمح ، وعلمه ان العمل المشترك نتيجته الاتقان والجوده ، فلا عجب اذا ان يصنع هذا الشيخ الوقور ـ وهو زهير بن أبي سلمى القصيدة المذهبة في شهر ، ثم ينفق في تهذيبها او تذهيبها بقية الحول وفي هذا منتهى الامانة .

بطل الكرم :

ونتصرف عن شاعر السلام الحكيم الى ضوء نار تشير الينا في اعماق الليل ودونها غلام يؤرثها ، وقدور راسيات ، وقد وقف على هذا الغلام المعتمل رجل يحرضه حتى تعلو النار ، صاحب هذه النار هو حاتم الطائي بطل الكرم ، وهو رجل رزين حليم ، محب للناس ابعد الحب ، وهو لهم عاذر لضعفهم وحاجتهم اليه .

وهذا الرجل الصبور ـ والصبر سر الكرم فيه ـ لا يستعبده المال ، فهو ينفقه في فك الاسرى واغاثة الملهوف ، وهو يتأفف من اولئك الذين يجمعون المال ، فلا يجدون معه الحرية في انفاقه ، وهو لا يجهل قدر المال وقوته ، ولكنه اقوى من المال ، وهو يحمد الله مسرورا بنعمة الكرم .

وحاتم لا يؤثر الناس بالمال فقط ، بل يؤثرهم بحاجة نفسه تنزيها لهذه النفس الكريمة الابية من الذم . ولذلك فقد جعل عليها رقيبا من رقة شعوره ونبله حتى ولو كان وحده وهذا الحساب الغريب من آثار التدين ، ولا نعرف من اين رسخ في نفس حاتم طي.

لقد بنى خوفو هرما ، وجاء اللصوص فسرقوا جثمان فرعون ، ولقد راينا الهرم اكواما من الحجارة والالم ، ولكننا لا نعرف خوفو كما نعرف حاتم طي.

اثر المراة في البطولة

لقد عجبنا على نسوة في بحثنا المفصل منهن زبيبة الحبشية ام عنترة، وعبلة الجميلة ، وليلى الثائرة بنت المهلهل وماوي زوج حاتم .

ولقد آن لنا ان نسأل عن دور المراة واثرها في بطولة الادب الجاهلي وهو من غير شك دور خطير ... فلقد كانت هذه المراة ذات شأن عظيم ، فهي كام كانت من غير شك تعلم ولدها ، وتلقنه المآثور من مفاخر القبيلة ، وهو اذا نشأ يحب ان يشعر بعطفها عليه ومكانته لديها ، والرجل العربي كامل بنسائه يذود عنهن ويستبسل في ذلك ونساؤه كن يحرصن على القتال كنساء عمرو بن كلثوم وكانت العرب تشهد نساءها الحروب ليقاتل الرجال ذبا عن الحرم .

ولقد كان فيهن بطلات كالشموس التي خرجت على قومها من براش عمليق الداعر فحرضتهم بكلام يحرك الصخر فثاروا على هذا الملك الفاجر والقوه طعاما للسيوف الجياع .

ان هذه الروح التي تجلت في قصة الشموس ما فتئت تتردد عبر القرون حتى رايناها في فتاة من بادية عربية في غير جزيرة العرب ، وهي مهرة بنت عبود من بني سوار ، التي حرضت قومها على القتال حين وصلت جيوش اسمعيل بن محمد علي باشا الى بلاد الشليقية من عرب السودان .

ولقد حولنا شعر هذه الفتاة الدارج الى عربيه فصيحة ـ كما جاء في البحث الذي بايديكم ولكننا نحب ان تسمعوا صوت هذه الفتاة العربية وذلك بانشاد شعرها الدارج الذي قالته حين اصاب قومها الجزع من مدافع الاتراك وليس لديهم الا الرماح والدرق من جلود افراس النيل ـ ومهيرة في شعرها هذا تخاطب النساء حتى يكون كلامها اشد اثارة :

الليلة العقيد في الحله متمسكن في قلب التراب شوفن مجكن
الراي فاقده لا يشفى لا يمكن ما تتعجبن ضيم الرجال يمكن

ثم تلتفت الى هؤلاء الرجال وهي تامل ان تؤثر فيهم : ـ

آكان فريتويا رفاقتنا ادونا الدرق هاكم رحاطتنا

والرحط : ازار من جلد مقدد تلبسه فتيات السودان ثم وقد اثارت قومها ورأتهم يتحفزون :

غنيت بالعديله لي عيال شايق البر شو الضعيف ويلحقوا الضايق

ثم ترضى فتذكر خروج قومها للحرب على الخيل وقد آثروا القتال :

الليله استعدوا وركبوا خيل الكر وقد امن عقيدن بالاغر دفر
جنياتنا العزاز الليلة تتنتر بالباشا الغشيم قول لي جدادك كر

وبعد ـ فمهما يكن حال المراة العربية في الجاهلية فقد كانت عنوانا لكتاب البطولة في الشعر الجاهلي .

والشعراء عامة ـ بما فيهم من ذكرنا من الابطال ـ يبدأون الغناء بذكر المراة في حلها وترحالها ، وهي دائما في قلوبهم وعلى اعينهم حتى في ميدان الحرب ، وهم يذكرونها اذا راوا السحاب والبرق واذا هب النسيم وهم يذكرونها اذا راوا كثبان الرمل النواعم ، ويذكرونها ويذكرونها . الظباء السود ، ويذكرونها وبريق السيوف يخطف الابصار ، ويذكرونها اذا لم يكن الا الفرار من القتال او الموت ويذكرونها ويذكرونها.

وقد نسمع صوت هذه المراة تحرض رجالها في الحرب او تلومهم على الرحلة في طلب المال ، او تعنفهم على المبالغة في الكرم ، وهذه المراة كانت تحب السلامة لقومها على كل حال .

ولم يتواتر الغزل في اول القصيد الجاهلي اعتباطا ، انما هو غاية لا وسيلة ، فهم لا يحنون الى النساء هذا الحنين العام كما يتبادر الى الذهن ولكننا نزعم انهم في الواقع انما حنوا لامهاتهم فليس العطف عند الناقة الجاهدة ، فهي بدورها تحن الى اعطائها ، وليس العطف عند الفلوات ولا هو عند الممدوح الموسر ولا عند الاطلال الخالية فاين يجد هؤلاء الشعراء الجاهدون هذا العطف ؟ ان الغزل في حقيقته حنين الى هذه المراة الام ، اذ لديها وحدها يجدون الحماية والامن والسكينة .

ولقد ذكر « جيب » في مجلة معهد اللغات الشرقية والافريقية لسنة ٥٠ ، ان هذا الغزل مرده الى Nostalgia الصحراء اي الى الحنين العصبي الذي تثيره وحشة الصحراء وما تخيله ، فهو الذي دفع الشعراء الى هذا الغزل الحنان ، ولكن فات على « جيب » ان الشعراء مما يصيبهم من الوحشة والعزلة والضياع انما يرتدون الى الطفولة الاولى فيذكرون معالم البيت الاول ويحنون الى الام والعرب يذكرون المراة في الغزل فيقولون « أم فلان »

ولقد كانت حياة العرب مجدبه قاسية ، والغارات تأخذ من اطرافهم ، والصحراء تخدع عقولهم والابصار ، وهم دائما يشعرون بالقلق .

فليس لهم حب خالص الا عند الام التي كانت واحة في الصحراء يتطلعون اليها خلف السراب ويتلهفون ويذكرون آثار بيتها الاول حيث درجوا ، ولقد رمزوا لهذه الام ولبيتها الاول بهذا الغزل في اول القصيد ووجدوا فيه راحة وحماية وعبروا فيه عن حنينهم الى الاستقرار والسلامه.

من هذا نرى خطر المراة العربية واثرها البعيد في الادب الجاهلي عامة .

الصعاليك

فاذا خرجنا من القبائل وضربنا في مجاهل البيداء وجدنا فيها شرذمة عجيبة ، انهم افراد يخشاهم الناس ، ولعلهم كثرت جرائرهم ، وعجزت قبائلهم عن حملها فتبرات منهم وخلعتهم ، انهم الصعاليك وهم ابطال قد خرجوا عن نطاق التقاليد العامة ، والواحد منهم على خروجه يتخذ لنفسه مظهر القبيله من امجاد ومآثر ، ولهم في خروجهم هذا وجهة نظر لانهم فقراء ، وفي القاموس : صعلكة افقره ، والصعلوك الفقير ، ولكن الفقر لم يقعد بهؤلاء فهم شجعان ، ولهم انفة وقوة وفتوة في اجسامهم

وكلامهم ، ولم يجدوا مجالا في النطاق القبلي ، وانهم ليحقدون على اهل اليسار فكانت لهم لذة خاصة في تحدي الاقوياء والعطف على الضعفاء ومنهم رياضيون من الطراز الاول ، نذكر بهم أبطال الاغريق ، ولقد امتازوا بشدة العدو وخفة الحركة والخبرة بالمجاهل ، ولم يكن لهم معاش ولا مغزى ، ومنهم تابط شرا ،والشنفري ، وسليك بين السلكة .

ويظهر ان عروة بن الورد كانزعيما لهؤلاء الصعاليك ، ولكنه صعلوك نبيل شريف لا يفكر في نفسه وانما هو انسان كلف باصدقائه وجيرانه ، يحب لهم ما يحب لنفسه ، وهو يؤثر الموت على الفقر .. لان الفقر ينزع الحب من قلوب الناس ويقتل الحركة ، ولذلك فهو يتصعلك حتى لا تنقطع صلاته بالحياة المليئة بالتعاطف والتكاتف ، وحتى لا يعيش وحده في رزق ضيق محدود ، وهو لا يلتذ الا بالمشاركة ولا يكتم علينا ان الايثار ـ على لذته ـ لا يستطيعه الا مثله

اقسم جسمي في جسوم كثيرة واحسو قراح الماء والماء بارد

وهو يعشق السيادة ويرى لها معنى غاية في النبل فهي ليست في جمع المال وتسخير الناس بهذا المال ، ولكن السيادة الحقة هي ان يبذل المال في اعانة من يحتاجون اليه وهو بعد لا يمديده الى مافي ايدي الناس ، وهذه غاية الغايات في الشجاعة والكرم وعزة النفس .

فالصعلكة كما يراها عروه شجاعة في القلب وسماحة في النفس ، ولن تكون اطلاقا صفة لمن طحنه الفقر وعبده ، وانما هي في عدالة لا تتصل بالنظام العام ، عدالة يقبلها عروة ويتخذها له منهاجا ، وليس فيها جناية او ظلم اطلاقا ما دامت تثور على الظلم وتعطف على المظلومين .

وعروة بن الورد رجل اشتراكي النزعه ، لا يقتني المال ، فهو كما نرى في شعره ، وسيلة للمعاني الانسانية النبيلة وهو يشبه من كل وجه شخصية « روبن هود » في تاريخ الشعب الانجليزي ، وان كان الاخير يتخذ من غابة « شيروود » مقرا ومختبأ له ولاتباعه من الخوارج ، فقد كان عروة يمتنع بالفلوات والاودية ، من غير من على خصمه ، ولئن كان « روبن هود » بطلا في الرماية فلقد كان عروة احد حذاق البشر في استعمال السيف ورياضة الخيل .

ولقد كانت ثورة « روبن هود » خروجا على السلطان الجائر ، كما كانت ثورة عروه وجماعته احتجاجا ملحا على التقاليد الجائرة ، والرذائل الانسانية كالجبن والبخل والذل .

ونحن لا نسمع صوتا لبطولة « روبن هود » اما بطولة عروه فهي صورة متحركة ناطقة نراها ونسمعها في شعره .

ولعل عروة في ايمانه بالصعلكة كان يحلم بنظام يتساوى فيه الناس وان لم يعرف كيف يدعو اليه بغير هذا الاسلوب المتفرد .

صعاليك السودان

وعلى ذكر الصعاليك ففي بادية السودان نهاضون شعراؤهم نفحات باقيات هناك من مآثر الجاهلية ، والنهاض بلغة السودان الدارجة هو الشجاع الذي ينهض للغارة فلنستمع الى هذا النهاض السوداني حيث يقول : ـ

الولد البدور يشكر يبعد رده في بلد العدو يتوكر

اما جابرضا البهماللهيجومسكر واما ابطلعهفوق ضلاعه تيتلوسكل

وهذا معناه ان على الولد ـ اي الفتى الشجاع ـ الذي يحرص على بعد الذكر وحسن الاحدوثة ان يتوغل في بلد العدو فاما ان يرضى بذلك البهم اللهيجو مسكر اي النساء حلوات الثغور واللهجات كالسكر بالمال والرغاب ، واما ان يقتل فهو ملقى بالعراء يختال لصقر الاضلع فوق اضلاعه ويصرخ

اليس يشبه هذا الكلام شعر عروه ؟

وكلام اخر : ـ

دعيني اطوف في البلاد لعلني افيد غنى فيه لذى الحق محمل

هيء قلوصك وارم الليل عن عرض بذي سبيب يقاسي ليله خببا

حتى تصادف مالا او يقال فتى لاقي التي تشعب الفتيان فانشعبا

مقارنة عامة

وبعد ، لقد اشتعلت حرب طرواده من اجل امراة جميلة واشترك فيها الالهة ، وفحوى القول هو ان هؤلاء اليونانيين قد ارتفعوا بالبشر الى مستوى الالهة وقد ينزلون بهؤلاء الالهة الى منزلة البشر ، ولذلك فقد لعبت الاهواء بهولاء الارباب ، وكان نصيبهم في الملاحم اكبر من نصيب البشر .

وشبت حرب البسوس من اجل امراة ، والبسوس صاحبة الناقة او صاحبة هذه الحرب ليست جميلة كهيلين طرواده ، ولكنها عربية ابيه وناقتها في القدر مثل كليب وائل ، وليس يعنيها ما دام انفها العربي مصونا ان يهلك الرجال .

ثم اشتعلت حرب داحس والغبراء من اجل رهان ذهبت به الخديعة وعجزت عن رده السيوف .

والسبب في حرب الناقة والفرسين مرده الى الكرامة الشخصية ولكن الابطال في هذه الملاحم العربية الشاعره لم يستعينوا كما استعان ابطال اليونان بآلهه وانما استعانوا بسيوفهم والمآثر .

وبطولة العرب اذا قابلناها بالبطولة اليونانية ، رايناها واقعية تمثل طبيعة العرب احسن تمثيل واروعه .

والبطولة العربية ارجح ميزانا فلقد وقفت هذه البطولة بكل امجادها على سفح جبل في مكه تنظر الى غار في هذا الجبل ، فلما سمعت صوت السماء من ذلك الغار المنتظر خرجت من الجزيرة العربية واتصلت بمصير العالم وما زالت تعمل عملها الى اليوم .

محمد المهدي مجذوب

مؤلفات

الاستاذ ابراهيم العريض

		ق.ل.
العرائس	شعر	٢٢٥
قبلتان	قصة شعرية	١٧٥
ارض الشهداء	لمحة عن فلسطين	٢٠٠
شموع	شعر	٣٠٠
من الشعر الحديث	نقد	٢٠٠

تطلب هذه الكتب من الناشر

دار العلم للملايين ـ بيروت